

الملكات السودانيات من مملكة نبتا (٧٥٠-٣٠٠ ق.م.) دراسة في المصادر: أنواعها ودلالاتها

د.سامية بشير دفع الله

نقصد بالملكات في هذا العنوان زوجات الملوك وأمهاتهم ، ولا نقصد المعنى الآخر وهو نساء وصلن لسدة الحكم وجلسن على العرش. إن استخدام لفظة ملكة بهذا المفهوم معروف ومستخدم في الأدبيات قديماً وحديثاً ، وإن كان استخدامها حالياً وفي العصر الحديث يكاد يقصر على زوجة الملك دون أمه كما في المملكة الأردنية حالياً (الملكة رانيا) مثلاً وفي مصر قبل الثورة (الملكة ناريمان زوجة الملك فاروق). في بريطانيا اليوم يطلقون على أم الملك وأم الملكة الحاكمة queen mother أي الملكة الأم. في أدبيات الحضارة المصرية الفرعونية وأدبيات مملكة نبتا يشار إلى زوجة الملك بلفظة " حموت نسو " ولأمه " موت نسو" ، وهذا الأخير يكاد يطابق مسمى " الملكة الأم" الإنجليزي. جدير بالذكر أن النبتيين استخدموا اللغة المصرية القديمة لكل أغراض الكتابة والتدوين، أما لغتهم المحلية فلم تكتب إلا في الحقب التالية المعروفة بالمروية (٢٧٠ ق.م. ٣٥٠ م).

قامت مملكة نبتا^١ في شمال السودان الحديث وانتشرت أهم مواقعها حول الشلال الرابع (خريطة- صورة ١) ومنها جبل البركل (دجو وعب في الكتابات المصرية القديمة) وصنم أبو دوم والكرو ونوري. اشتهر موقع البركل بالمعابد، كما قامت فيه جبانتان ملكيتان من فترتين مختلفتين. لكن أقدم المدافن الملكية توجد في جبانة الكرو^٢ ، وقد ضمت مقابر الأسلاف ومقابر أربعة من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين المصرية- السودانية. بعد قفل الكرو انتقل الدفن الملكي إلى نوري^٣ في عهد الملك تهارقا رابع ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ، وفيها دفن بقية ملوك نبتا. يؤرخ آخر هرم في نوري لحوالي سنة ٣٠٠ ق.م. بعد ذلك دفن ملك أو اثنين في جبانة البركل الأولى؛ لكن ابتداء من حوالي سنة ٢٧٠ ق.م. بدأ الملوك السودانيون يبنون أهرامهم في موقع البجراوية بالقرب من مدينة مروى العاصمة التي تبعد حوالي ٣٠٠ كلم شمال الخرطوم.

يعتمد الباحث في تاريخ مملكة نبتا على الآثار والنقوش القديمة ؛ فالمملكة، كما هو واضح من التواريخ المذكورة ، ظهرت قبل ظهور الكتاب الكلاسيكيين ؛ ولما ظهر

* مدير ادارة البحوث والتخطيط والتتميه - جامعة السودان المفتوحه

^١ الاسم نبتا قديم وغير مستخدم اليوم. يعتقد أن أقدم نموذج له يعود لفترة الدولة المصرية الوسطى.

انظر فيركوتيه Vercoutter, J. "New Egyptian Texts from Sudan". Kush:4(1965) p. 70-71.

^٢ Dunham, D. *The Royal Cemeteries of Kush*, vol. 1. Elkurru. (Boston, 1950).

^٣ Dunham, D. *The Royal Cemeteries of Kush*, vol. 2. Nuri (Boston, 1955).

هيرودوت (القرن الخامس ق.م.) لم يكتب عنها إلا النذر اليسير. تنتشر الآثار الثابتة لمملكة نبتا في شمال السودان في المواقع التي مر ذكرها. هناك أيضاً آثار لملوك الأسرة الخامسة والعشرين و عابدات الإله السودانيات في مواقع عديدة في جنوب مصر والصحراوات. أيضاً اكتشفت منذ فترة طويلة بقايا مدافن لنساء نبتيات في أبيدوس.^٤ المقابر الأخيرة لها علاقة بموضوع هذه الورقة لأنها ، فيما يبدو ، جهزت لتكون مدافن لنساء لملكات وأميرات نبتيات. تم التعرف من بين أصحابها على بقايا أمتعة جنازية لأربع نساء ملكيات^٥. بما أن معظم التنقيبات الأثرية في السودان نفذت بواسطة بعثات أجنبية، فقد ترتب على ذلك _ عملاً باتفاقيات تبرم بين الطرفين _ أن يكون لتلك البعثات نصيب من الآثار المكتشفة. وهكذا وجد جزء مقدر من الآثار النبتية طريقه للمتاحف العالمية ، وبخاصة متحف بوسطن بالولايات المتحدة. أيضاً هناك ألواح وثائقية لملوك نبتيين وأميرات نبتيات محفوظة الآن في متحف القاهرة؛ الوثائق الملكية عثر عليها ضباط مصريون كانوا يعملون في السودان أثناء فترة الحكم التركي المصري. أما آثار الأميرات السودانيات - عابدات الإله - فقد جاءت من المواقع التي كانت تهيمن عليها هولاء النسوة مثل الكرنك ، مدينة حابو وغيرها من مدن الصعيد . فيما يتعلق بالنقوش والكتابات القديمة خارج وادي النيل التي أشارت للنبتيين ، هناك إشارات محدودة لبعض الملوك النبتيين في حوليات الملوك الأشوريين المعاصرين لهم، كما أن هناك إشارات أقل في الكتاب المقدس ، لكن لا يشير أي من المصدرين للملكات النبتيات^٦.

من حيث الكم والنوع ، المصادر المتوفرة عن الملكات السودانيات من مملكة نبتا تبدو غنية ومتنوعة مقارنة بما يتوفر عادة من مصادر التاريخ القديم بشكل عام. لقد قمت بجمع المصادر المتعلقة بالملكات السودانيات من الفترتين النبتية والمروية (٧٥٠ ق.م - ٣٥٠ م) بهدف دراستها ونشرها في مجلد واحد. وقد استخدمت جانباً منها في كتابة ورقة قدمتها في مؤتمر الدراسات المروية بفيينا في سبتمبر الماضي بعنوان: Napatan

⁴ . Leahy, Antony " Kushite Monuments at Abydos" . in ed. Christopher Eyre et al.

The Unbroken Reed . Studies in the Culture and Heritage of Ancient Egypt in Honour of A.F. Shore. (Egypt Exploration Society. London , 1994). pp. 171-192.

^٥ .اعتقد رايزنر أن مقابر أبيدوس مجرد أضرحة، وأن مقابر هولاء النسوة الحقيقية في الكرو (السودان). آخرون رفضوا تفسير رايزنر . انظر عن هذا الجدل المرجع السابق ص ١٨٨ .

^٦ . باستثناء إشارة في حوليات الملك إسارحدون. في معرض وصفه للمعركة ضد تهارقا (تارقو) ذكر مؤرخ الملك إسارحدون أن الأخير انتصر على تارقو ، الذي ولى هارباً بينما وقعت زوجته (الملكة) وبناته وآخرون من أفراد عائلته في الأسر. انظر بريتشارد:

Pritchard, J.B. ed. *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament.* (Princeton: 1955).p:293.

Queenship (لم تنشر) تمحورت حول موضوعات خلافية^٧. لكن هناك جوانب كثيرة أساسية واضحة عن هذا الموضوع لم تتعرض لها ورقة فيينا بسبب محدودية الحيز والزمن المتاح في المؤتمر. كما أن هناك جوانب أخرى ذكرت ذكراً عابراً فقط. هذه الأمور سنحاول استكمالها في هذه الورقة. وهكذا في الجزء الأول منها سأقوم بتسليط الضوء على مصادر البحث الأساسية، وكلها أثرية. في الجزء الثاني سأؤجر أهم الدلالات المستقاة من تلك المصادر.

١ - المصادر

يمكن تصنيف المصادر الأثرية الدالة على الملكات في المجموعات الآتية:

- ١ - ألواح الملوك ٢- الألواح الجنائزية ٣- موائد القربان ٤- تماثيل الشوابتي والتماثل.
- ٥- الرسومات والمناظر المنحوتة على جدر المعابد أو جدر القبور. ٦- قبور الملكات في الكرو ونوري ٧- التماثيل. ٨- معثورات منقوشة متفرقة.
- ١, ١ - ألواح الملوك (Royal Stelae) هي ألواح ذات طبيعة مذوجة ثائقية- ودينية؛ توثق لأحداث مهمة مثل تتويج الملك، الحروب والمعارك، بناء معبد أو حادثة معينة مهمة. مادتها حجر الجرانيت. من حيث الشكل ينقسم اللوح إلى قسمين؛ علوي وسفلي. يتخذ الجزء العلوي شكل نصف دائرة (Lunette)، ويخصص لرسومات منحوتة تصور الملك وبعض المعبودات، وأحياناً كثيرة زوجة الملك أو أمه أو كليهما. تتخلل التصاوير الخرطوشات الملكية (الإطارات البيضوية) وأعمدة قصيرة من الكتابة الهيروغليفية. يكتب اسم الشخصية الملكية داخل الخرطوشة مسبقاً باللقب. الجزء السفلي من اللوح يملأ كله بأسطر من الكتابة (انظر الصور رقم ٢ (لوح مكتمل) ٣، ٤، ٥، ٦). في أكثر الحالات تكون الكتابة على وجه اللوح فقط، لكن هناك بعض الحالات تكون الكتابة في أكثر من جانب (لوح بعانخي منقوش في الجوانب الستة). الكتابة المستخدمة كانت دائماً المصرية بالخط الهيروغليفي. تنصب ألواح الملوك عادة في المعابد. معظم الألواح تصور الملكات وتذكرهن بالاسم أو تشير إليهن إشارات محددة داخل النص. أما أحجام الألواح فهي متفاوتة بين كبير ومتوسط وصغير. يعتبر لوح بعانخي من الحجم الكبير حيث تبلغ أبعاده: ١٧٨ × ١٤٠ × ٤٣ سم تقريباً، لوح أنلاماني كوة viii من الحجم المتوسط (165×86×25 سم) ولوح تهارقا كوة iii من الحجم الصغير (131×1٧×29 سم).

^٧ مثل طبيعة النظام السياسي، هل كان خوؤلي (matrilinal) وفيه يرث العرش ابن أخت الملك، أم كان أخوياً (collateral) وفيه يتعاقب الأخوة على العرش، أم أبويًا patrilineal وفيه يرث العرش ابن الملك. من الموضوعات الأخرى: الزواج بالأخوات ونظرية تبني الملكات لأخواتهن إلخ.

١. ٢ - الألواح الجنائزية للملكات (Funerary stelae) تشبه الألواح الملكية من حيث الشكل لكنها أصغر في الحجم. المواد حجر رملي أو فريضة أو مرمر. الموضوع: يكتب عليها الصيغة الجنائزية الشائعة في ذلك الوقت (حتب دي نسو = قربان يقدمه الملك إلى أوزيريس.... بأن يهب لفلانة ابنة فلان كذا وكذا إلخ). التصاوير: منحوتة من غير إتقان في أعلى اللوحة.

وهكذا تذكر تلك الألواح اسم الملكة وعلاقتها بالملك الحاكم أو بملك غيره. نعطي كنموذج لوح الملكة بتهلانيا من نوري ٤٤. (الصورة رقم ٧). توضع اللوحة الجنائزية عادة في مشكاة في الحائط الغربي في مقصورة الهرم (البعض يطلق عليها المعبد الجنائزي).

١. ٣ - موائد القربان (offering tables) وهي ألواح من الحجر الرملي أو الجرانيت أو الفريضة مقطوعة بشكل معين. (صورة ٨ من من نوري). يصور عليها بالنحت أصناف مختلفة من الأطعمة والأشربة مثل قطع خبز، أفخاذ لحوم حيوانات، طيور، ربطات من بصل وفجل، أباريق مليئة بالمشروبات من نبيذ وماء إلخ. يصور فيها أيضاً الميت والإله أوزيريس بصحبة إيزيس وأنوبيس. تحتوي مائدة القربان في أحيان كثيرة على نقوش كتابية تحفر على أطراف اللوح من كل الجهات يتخللها اسم الميت، ومن هنا تأتي أهميتها التاريخية.

١. ٤ - تماثيل الشوابتي والتمايم (shawabti figures and amulets) صنعت من القاشاني وتوضع مع الميت في حجرة الدفن. لفظة شوابتي مصرية، عند أول ظهورها في عهد الدولة الوسطى كتبت بهذا الشكل "شوابتي" وفي وقت لاحق كتبت "يوشابتي". في البداية كان يوضع مع الميت تماثيل واحد فقط يشبهه بقدر الإمكان. منذ زمن الدولة الحديثة وما بعد صار عددها بالعشرات، بل والمئات ولم تعد تشبه صاحب القبر، وأصبح الغرض منها خدمته في الحياة الثانية وإجابة طلباته. تنقش عليها العبارة الآتية "أيها المجيب متى ما طلب منك عمل شيء ما. أجب أنا هنا" وبسبب هذا الاعتقاد سميت "مجيبة". الأهمية التاريخية للمجيبات أن كثيراً منها منقوش باسم وألقاب الملكة صاحبة القبر. (صورة ٩، مجلد نوري، الشكل ١٩٨). أما التمايم فهي ذات أشكال متعددة. بعضها كالجعارين مثلاً توضع مع المومياء، على الصدر، وهذه تعرف بتميمة القلب.

١. ٥ - الرسومات والمناظر المنحوتة على جدر المعابد والقبور: تعتبر هذه المجموعة هي الأقل حفظاً؛ بخاصة المناظر الملونة. من الكرو بقى نموذج واحد، من القبر رقم ٥، قبر الملكة قلهاتا والدة الملك تنويت أماني. وهناك نموذج آخر من نوري رقم ٥٣، قبر الملكة يتورو: (صورة ١٠). في الأخير نلاحظ عمودين من الكتابة يحتويان اسم الملكة ولقبها (حمت نسو يتورو). الصورة ١ المنظر يصور مجموعة من الملكات منحوت على بوابة معبد ب ٧٠٠ في البركل، يشاهد المرء أمام

وجوه النساء خرطوشة تحوي اسم الملكة ولقبها. الصورة ١٢ للملكة كاديমাالا من معبد الإله ديدون وسنوسرت الثالث بسمنة غرب.

١. ٦ - المدافن: كما الملوك ، دفنت الملكات النبتيات في غرف دفن مقطوعة في الصخر في نفس الجبانة التي دفن فيها الملوك، لكن في مكان منفصل خصص لهن. في جبانة الكرو وهي الأقدم ، احتلت قبور الملكات المساحة جنوب وشمال الهضبة الوسطى التي شيدت فيها قبور الأسلاف وأهرام ملوك الأسرة ٢٥ (باستثناء تهارقا) . أما في نوري فقد توزعت أهرام الملكات في ثلاث مجموعات حول هرم الملك تهارقا. من حيث الأحجام تراوحت بين ٧-١١ متر مربع على القاعدة. تعتبر أهرام الملكات صغيرة مقارنة بأحجام أهرام بعض الملوك ، لكن هناك بعض الملوك كانت أهرامهم يمثل حجم أهرام الملكات. أما الأمتعة والأثاث فلا اختلاف إلا من حيث الكم.

١. ٧ - التماثيل: عُثر على تمثال واحد فقط يصور الملكة والملك ؛ الملكة اسمها أماني ملول (صورة ١٣) وزوجها الملك سنكا منسكن. هذا التمثال موجود الآن بمتحف الخرطوم ، تحت الرقم ١٨٤٣. لا نعرف السبب وراء ندرة تماثيل الملكات ؛ هل لم يعثر عليها أم أنها لم تصنع أساساً.^٨

١. ٨ - معثورات متفرقة: هناك معثورات مختلفة تشكل جزءاً من الأثاث الجنائزي للقبر مثل التوابيت والجرار الكانوبية وغيرها كانت تزود أحياناً بكتابات منقوشة تفيد بالتعريف بصاحب القبر.

٢- الدلالات المستقاة من المصادر بشكل عام

على ضوء ما وصفنا في المصادر أعلاه يمكن استخلاص الدلالات الآتية:

٢. ١ - دلالات عامة: أي دلالات تستقى من جميع المصادر بشكل عام؛ مثلاً كل ما يتضمن إشارة للنظم وطبيعة المجتمع. إن دراسة هذه المصادر تبين بجلاء أن النظم السياسية والاجتماعية في مملكة نبتا كانت متطورة لحد كبير ؛ النظام الملكي على وجه التحديد كان متقدماً . وبالرغم من أننا لا نعرف على وجه التحديد مؤسس الملكية النبتية لكن من المرجح أنه ابن رع الزعيم الأرا "سارح حكا الأرا" المذكور في أحد ألواح الملك تهارقا(اللوحة كوة iv ، سطر ١٧) ^٩. على أية حال تبلورت الملكية النبتية بشكل واضح في القرن الثامن ق.م. في عهدي الملك كاشتا(٧٦٠-٧٤٧ ق.م.) وابنه(بيي)بعانخي(٧٤٧-٧١٦ ق.م.). أي في زمن كانت النظم الملكية القائمة في العالم القديم محدودة للغاية؛ أشهرها وأقدمها النظام المصري الذي تبلور في نهايات

٨. لكن عُثر على تماثيل جيدة من الجرانيت للأميرات السودانيات اللاتي تقلدن منصب عابدة الإله آمون. عُثر على تمثال آمون إرديس الأولى في الكرنك، وتمثال شبن وبث الثانية في مدينة حابو. انظر كتشن:

Warminster:1 973. p 382 & 149. note 278 .Kitchen,K.A.The Third Intermediate Period in Egypt
^٩ Macadam,M.F.The Temples of Kawa.I.The Inscriptions. (London.1949).pl. viii

الألف الرابعة ق.م. واستمر قائماً حتى نهاية العصر الفرعوني. وقد لعبت النساء الملكيات المصريات أدواراً اجتماعية وسياسية في غاية الأهمية وبلغت أربع منهن سدة الحكم^{١٠}. هناك نظم ملكية ظهرت في الحضارات الإيجية وفي دول الشرق الأدنى القديم مثل العراق ، سوريا ، الجزيرة العربية ، السودان وإيران ، لكننا ، لا نعرف الكثير عن أوضاع النساء في تلك الحضارات.^{١١}

منذ ظهور النظام الملكي في نبتا ، الذي تأثر لحد كبير بالنظام المصري ، وضح جلياً أنه كالعملة له وجهان ؛ في أحدهما الملك وفي الآخر الملكة. لقد كانت زوجة الملك (حمت نسو) عنصراً مهماً في هذا النظام ، بل هو مكمل له ، لا يستقيم بدونه ، على الأقل من الناحية الأيدولوجية^{١٢}. كان لأم الملك كذلك مكانة خاصة في المجتمع النبتي. في الفقرات التالية سنتحدث عن الدلالات المستوحاة من المصادر عن أوضاع الملكات النبتيات:

٢،٢-دلالات التصاوير: إن تصوير هؤلاء النسوة مع الملك في ألواح تنصب في الأماكن العامة (المعابد مثلاً) له أكثر من دلالة:-

- **الدلالة الاجتماعية:** من الناحية الاجتماعية يدل تصوير النساء مع الملوك على ارتفاع مكانتهن في المجتمع ومشاركتهن الرجال في الشأن العام ، فهن ما كن منعزلات في قصورهن على نظام الحريم الذي عرف في نظم كثيرة قديمة أو حديثة. من ناحية أخرى عن طريق تلك التصاوير يتعرف الناس عليهن ، سواء أكانوا رعايا أو زواراً مقيمين أو عابرين ، فيحصلن على الشهرة والنجومية.
- **دلالات دينية:** تظهر الملكة وهي تحمل آلة الشخصية (الصلصله) في يد ، بينما تصب باليد الأخرى قرباناً سائلاً كالماء أو اللبن. إن لعب الشخصية وصب القرابين أنشطة طقسية يقوم بها في العادة كهنة المعابد. إذن قامت الملكات النبتيات بأدوار الكاهنات في مناسبات تتويج الملك لمساعدته في

^{١٠} . انظر محمد علي سعد الله: الدور السياسي للملكات في مصر القديمة . الإسكندرية. ١٩٨٨ .
^{١١} . الكاتبة لا تعرف إلا القليل عن ملكات خارج وادي النيل من هذه الفترة (٨٠٠ - ٣٠٠ ق.م.).
مثلاً هناك خمس ملكات عربيات جاء ذكرهن في نصوص مسمارية آشورية تؤرخ للقرنين الثامن والسابع ق.م. انظر: عبد العزيز صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، ص ١٢٤-١٢٥ . وهناك سميرأميس العراقية التي ذكرها الكاتب الكلاسيكي..... ومن جنوب الجزيرة العربية اشتهرت ملكة سبأ المعاصرة لسليمان عليه السلام و المذكورة في سورة النمل، آية ... أما مملكة كوش الأولى (كرمة) التي ازدهرت في شمال السودان حوالى ١٦٥٠-١٤٥٠ ق.م. فلم تخلف آثاراً ذات علاقة بالنساء الملكيات.

^{١٢} Troy,L. *Patterns of Queenship in Ancient Egyptian Myth and History*.
BOREAS 14(Upsala, 1986).pp.133&143.

الحصول على الملكية وذلك عن طريق مرافقته ومؤازرته أثناء هذا الظرف العصيب^{١٣}. وقد ربط النبتيون بين الملكات والإلهات؛ فشبهت أم الملك بايزيس بينما شُبهت زوجته بالمعبودة موت زوجة الإله أمون. أما موسيقى الشخيخة كما تعبر عنها الكلمات المكتوبة فهي " لإدخال السرور في قلب الإله". هناك تصوير للملكة نفرو كما كاشتا ترضع من ثدي الإلهة إيزيس (صورة ١٤) لا شك أنه يعكس دلالة دينية معينة. هذا النوع من التصاوير - شخص يرضع من ثدي إلهة - كان في مصر الفرعونية مقصوراً على الملوك فقط. وقد بدأ استخدامه مع النساء في الفترة البطلمية.

- **المظهر العام للملكة** كان مظهرها أنيقاً ومحتشماً، ترتدي جلباباً طويلاً، واسعاً إلى حد ما، بأكمام طويلة، من قماش خفيف شبه شفاف، يشف عن جلباب ثانٍ تحته ضيق وملتصق بالجسم لدرجة يخيل للمشاهد أنها لا تلبس شيئاً تحت الجلباب. إضافة إلى ذلك تضع على كتفيها وصدورها شالاً أو شالين، فضلاً عن نطاق حول الخاصرة. المدقق للنظر في التصاوير يلاحظ جزءاً من قماش أو شيء من هذا القبيل يبرز من تحت الجلباب. لقد احتار الباحثون في ماهيته؛ يبدو أن التفسير الذي يقول أنه جزء من ذيل حيوان، ربما ذيل ثعلب، هو الأنسب؛ كانت تلبسه النساء السودانيات على سبيل الفأل الحسن، بالخصوبة والإنجاب مثلاً.^{١٤} هذه الأشياء التي مر ذكرها (الشال، الحزام والذيل) تضيء مسحة محلية سودانية على زي الملكة السودانية فلا يكون مطابقاً لما تلبسه رصيفتها المصرية. عموماً نعتقد بأن الجلابيب الشفافة كانت تستورد، ربما من مصدر مصري أو بحر متوسطي، وكانت تصنع خصيصاً لهذه الفئة من النساء. من حيث السمنة والنحافة بدت الملكة النبتية رشيقة، تميل إلى النحافة لكنها تبدو أسمن بعض الشيء من الملكة المصرية.
- **ألبسة الرأس** فيما يتعلق بألبسة الرأس، ظهرت الملكة النبتية بألبسة مختلفة، أبرزها التاج المكون من ريشتين عريضتين واقفتين ملتصقتين ومعهما قرص الشمس والقرنين، وهي رموز الإلهة حتحور. أجمع الباحثون أن هذا التاج من أصل مصري. لبست أيضاً الطاقية الكوشية (في الأدبيات باللغة الإنجليزية يسمونها Kushite skull cap) والعصابة. كما ظهرت بلباس ثالث يتكون من أشكال رقيقة ترتفع ثم تنفوس إلى أسفل. بعض الباحثين الغربيين

^{١٣} . تعتقد الباحثة أنجليكا لوفاسر: " Queenship in Kush: Status, Role and Ideology of Royal Women " *Journal of American Research Center in Egypt*, xxxviii,(2001), p.68.

^{١٤} أن دور الملكات النبتيات في الطقوس أخذ بعداً جديداً لم يكن متاحاً للملكة المصرية.

^{١٤} . المرجع السابق، ص ٦٣

اعتقد أنها ريشات . لكن الكاتبة تميل إلى أن ما يبدو في شكل ريشات هو تصفيف للشعر بطريقة خاصة تناسب طبيعة الشعر الإفريقي المجعد . في ذات السياق وجدنا حالة واحدة (الملكة نفرو كا كاشتا) تضع على رأسها شيئاً أشبه بالوقاية (صورة ١٤) . يكتمل لباس الرأس بتثبيت تمثال صغير لأنثى العقاب، وأحياناً تمثال كوبرا، على جبين الملكة . خالفت السودانية رصيفتها المصرية فلم تلبس الباروكة على الإطلاق . في أغلب الحالات لا يظهر من الشعر شيء ، وإذا ظهر يكون من تحت الطاقية . يبدو إذن أن العادة المتبعة هي قص الشعر لأقصى درجات القص أو جمعه في كعكة من الخلف كما نشاهد في تصوير الملكة كاديমাالا في معبد سمنا غرب (صورة ١٢) . الباحث كندال يعتقد أن قص الشعر بهذه الطريقة ربما كان ضرورة دينية اقتضاها الدور الكهنوتي الذي تقوم به الملكة في الطقوس.^{١٥}

٢ . ٣ - الدلالات من النقوش الكتابية: إذا انتقلنا للنقوش الكتابية نجد فيها أيضاً الكثير من الدلالات عن أوضاع الملكات، من أهمها :

- **السفر مع الملك:** خذ مثلاً لوح الملك بعانخي المعروف بلوح النصر، تحديداً الفقرة التي تتحدث عن سقوط مدينة هيرموبوليس ووقوع ملكها نملوت في أسر الملك بعانخي . يتضح في هذه الفقرة أن الملكة السودانية كانت تصطحب زوجها الملك في سفره بالرغم من مشقة السفر في ذلك الزمن البعيد . إن المرء ليعجب لوجود زوجات الملك بعانخي وأخواته وكريماته من حوله في أجواء محفوفة بالمخاطر كأجواء الحرب والحصار .^{١٦}
- **تقدير الملوك للنساء** جاء في الفقرة المذكورة أعلاه أن زوجة الملك الأسير نملوت أتت نساء بعانخي تتوسل إليهن أن يتوسطن لزوجها عند الملك بعانخي فلا يعدمه . ففعلن وقبل الملك وساطتهن واسقط عقوبة الإعدام عن نملوت . إن استجابة الملك لوساطة أهل بيته يدل على التقدير الكبير الذي يكنه الملوك السودانيون لزوجاتهم وأمهاتهم .
- **أم الملك وأسطورة إيزيس:** كثير من ألواح الملوك (تهارقا ، أنلاماني، أسبلتا، وأماني نتي يركي) تذكر أم الملك كلما ذكرت مناسبة التتويج . تهارقا على سبيل المثال (اللوحة كوة v) وأنلاماني (اللوحة كوة VIII) شبيها والدتهما بايزيس حضرت لتشهد ابنها حورص وهو متوج على العرش .^{١٧} ونلاحظ في التصاویر في الوثائق الملكية _ التي هي في الأصل لتوثيق مناسبة التتويج -

¹⁵ Kendall, T. *Kush: Lost Kingdom of the Nile* (Brockton Massachusetts. 1982). P. 25

¹⁶ Budge, E.W *Annals of Nubian Kings* (London. 1912) p. LXI

¹⁷ .Macadam , M.F.Laming. *The Temples of Kawa .The Inscriptions*(London ,1949)pp. 28&46.

نلاحظ وقوف أم الملك خلفه لحمايته مثل ما تفعل إيزيس. هذا الاستخدام لأسطورة إيزيس وأوزريس وابنهما حورص لم يعرف في الملكية المصرية. وكذلك مخاطبة الأم لأمون ، معطي الملكية ، بأن يهب ابنها الملك ويثبت عرشه (حديث الملكة ناسالسا أم أسبلتا) . بعض الباحثين أعطى أهمية كبرى لهذا الدور واعتبره محورياً لشرعية الملك.

● **دلالة أسماء الملكات** يتضح من أسماء الملكات أن معظمهن حملن أسماء محلية سودانية: مثل كاديমাالا (وهذا الاسم يعني باللغة المروية الطيبة ، الصالحة ، للطيبة) أبارأو أبال ، خنسا ، بكستر ، تابيري، بياتما ، نبريا ، أتاخباسكن ، دخيتا مون ، قلهااتا الخ ، كلها تبدو سودانية. هذه الأسماء تعكس أصالة الأسرة الحاكمة وتمسكها بالثقافة السودانية المحلية. هناك بعض الملكات حملن أسماء ذات أصول مصرية نذكر منهن باعنخ آرتي وهي من زوجات تنويت أماني ، ويوتورو من زوجات أتالانيرسا ، وسخمخ إحدى زوجات الملك ناستاسن. هنالك خياران لتفسير هذه الظاهرة؛ الأول أن المسألة محاكاة وتقليد لا أكثر وأن النسوة سودانيات. هذا التفسير يعززه ألقاب السيدات حيث حملت اثنتان لقب "سنت نسو = أخت الملك" وحملت الثالثة لقب "سات نسو = ابنة الملك"^{١٨}. التفسير الثاني أن النسوة مصريات الأصول. ومما يعزز هذا الاتجاه أن ثلاثتهن حملن لقب "حنوت كمة" أي سيدة مصر. لقبول هذا الخيار لا بد من افتراض أن اللقبين سنت نسو و سات نسو عندهن يشيران إلى صلة قرى بملك مصري ، وأن الترجمة المناسبة للقبين حينئذ تكون "سليمة الملوك" . إذا قبل هذا التفسير تصبح لدينا ظاهرة زواج ملوك سودانيين بنساء مصريات.

● **دلالة ألقاب الملكات** كانت ألقاب الملكات على شاكلتين:

● **المجموعة الأولى** تتضمن لفظة قرابة (kin - ship designation) مثل زوجة ، أخت ، وأم ، تضاف إلى كلمة ملك (نسو) فينتج عن ذلك لقب مركب هو: حمت نسو (زوجة الملك)، سنت نسو (أخت الملك) وموت نسو (أم الملك). قد توصف امرأة بأنها زوجة الملك. وقد توصف أخرى بأنها زوجة الملك - أخت الملك ، وثالثة بأنها أم الملك ، ورابعة بأنها أم الملك - أخت الملك. لكن لم يعثر أبداً على لقب أم الملك - زوجة الملك (موت نسو - حمت نسو). لقد اختلف الباحثون كثيراً حول تفسير هذه الألقاب ؛ فيما يتعلق باللقب زوجة الملك - أخت الملك اعتقد فريق من الباحثين أنه يعني أن الملك الحاكم متزوج من

١٨. جدير بلفت انتباه القارئ إلى نظريات لبعض علماء المصريات تقول أن لفظة سنت التي تترجم عادة بأخت لها معاني أخرى من بينها مثلاً "حبيبة".

أخته. فريق آخر لم يستبعد أن يكون الملك في اللقب (أخت الملك) هو ملك سابق؛ وذلك لوجود اللقب (أم الملك - أخت الملك) حيث يستبعد أن تكون المرأة المُشار إليها هي أم الملك الحاكم وأخته في الوقت نفسه. في هذه المجموعة أيضاً يلحظ الباحث تخصيصاً إضافياً لبعض الزوجات بأن يضاف للقب حمت لفظة ورت، أو عات، (بمعنى الرئيسة) فيصبح لقبها زوجة الملك الرئيسة. وأحياناً حمت نسو تبت بمعنى الكبرى أو المقدمة.

● **المجموعة الثانية** من ألقاب الملكات تخلو من ألقاب القرابية. وهذه يمكن تقسيمها لقسمين. القسم الأول ألقاب تأخذ الشكل المؤنث لألقاب حملها الملك وتدل على الهيمنة، مثل حنوت تاوي و نبت تاوي (سيده الأرضين) تقابل نبت تاوي عند الملك. ومنها حنوت شمعو محو (سيده الجنوب والشمال) يقابلها اللقب الملكي نبت شمعو محو. ومنها نبت خاسوت (سيده البلاد الأجنبية). من الصعب قبول أي تفسير آخر لهذه الألقاب غير المعنى الظاهر وهو أنها تشارك الملك في الهيمنة (من الناحية النظرية على الأقل). يلاحظ أن هذه الألقاب الأخيرة حملتها ملكات الأسرة الخامسة والعشرين فقط عندما خضعت مصر للحكم السوداني. وعليه يكون المعنى بالأرضين والجنوب والشمال هو مصر والسودان. بعد فقدان مصر ظهر اللقب حنوت كاش (سيده كوش) وكوش هو اسم السودان القديم. أما اللقب حنوت كمة (سيده مصر) الذي كان له استخدام حتى بعد خروج السودانيين من مصر، فيمكن تفسيره بأن الزوجة المعنية كانت من أصل مصري. ما يعضد هذا التفسير أن الملكات اللاتي حملنه تسمين بأسماء مصرية مثل با عنخ ارتي زوجة تنويت أماني، يوتورو زوجة سنكامنسكن، وسخمخ زوجة ناستاسن (انظر الفقرة ٢. ٤). القسم الثاني من هذه المجموعة هي ألقاب تشير إلى مكانة الملكة في البلاط مثل اللقب يري بعنت (النبيلة) ورت حسوت (الفضلى).

٢. ٤ - دلالات المدافن: من أهم دلالات المدافن وأوضحها أن الملكة لها نفس أهمية الملك تقريباً. الأختلاف الأكثر وضوحاً بين قبور الملوك والملكات كان في الأحجام. لكن لا بد من توضيح أن أهرام الملوك أنفسهم تتفاوت في أحجامها بين كبير ومتوسط وصغير. الصغير منها أصغر من أهرام بعض الملكات.

هناك مؤشرات أخرى من المدافن لم يتفق الباحثون حول دلالاتها؛ منها ظاهرة نقص واضح في عدد أهرام الملكات بجبانة نوري بعد عهد الملك مالنقون (٥٤٢-٥٣٨ ق.م). فريق من الباحثين يرى أن عادة تعداد الزوجات قد تراجعت في ذلك الوقت. فريق آخر يقول أن الملوك بعد مالنقون كانوا يتزوجون بنساء من منطقة مروى وأنهن ربما دفن في القبور جيدة البناء بالجبانة الغربية بمروى.^٩ بالرغم من وجهة الرأي الأخير

¹⁹ Dunham, D. " Outline of the Ancient History of the Sudan: part v. The Kingdom of Kush at Napata and Meroe". *Sudan Notes and Records*. 28 (1947). 1-10.

إلا أن الحفريات الجزئية التي أجريت في الجبانة الغربية لم تكشف عن مدافن لملكات بمستوى مدافن نوري.

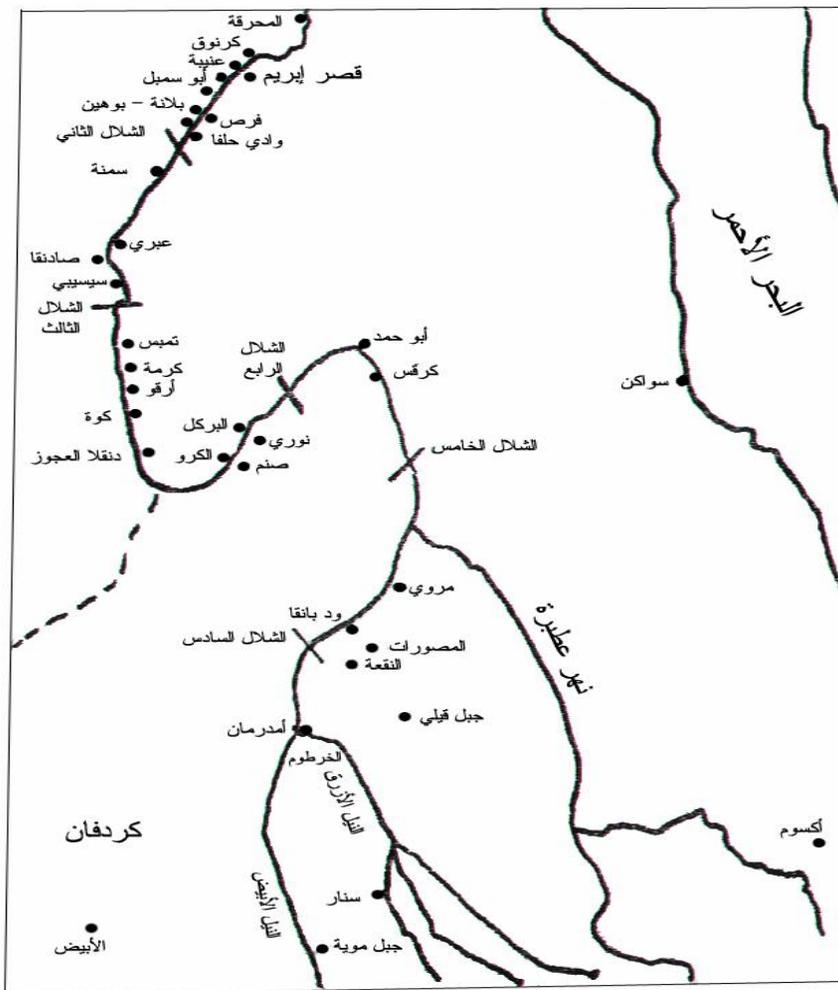
٢. ٥ - دلالة التماثيل: يدل تمثال الملكة أماني ملول (صورة ١٣) على أن التماثيل لم تكن حكرًا على الرجال ، أو أنها كانت محرمة على النساء. عموماً يبدو أن صناعة التماثيل في مملكة مروى قد انحسرت بعد عهد الملك أسبلتا (٥٩٣ - ٥٦٨ ق.م.). ربما لصعوبة الحصول على مثالين مهرة في هذا الجانب من فن نحت الحجارة. من ناحية أخرى يشير التمثال إلى أن امتلاء الجسم ربما كان من مقاييس الجمال عند النبتيين. هذا المؤشر ظهر بوضوح شديد في الفترة المروية.

٢. ٦ . هل وصلت الملكة النبتية إلى سدة الحكم؟ . الأدلة المتوفرة عن الملكات النبتيات باستثناء حالة واحدة، وهي غير مؤكدة ، لا تشير إلى وصولهن سدة الحكم. وهنا يبرز السؤال: ما هو الشيء المطلوب للدلالة على حكم امرأة في مملكة نبتا؟ الإجابة إن أحسم الأدلة هي أن تحمل اللقب نسو بيتي (ملك الوجهين القبلي والبحري) مسبقاً باللقب سا رع (ابن رع). اللقب نسو بيتي ظهر في نقش الملكة كاديমাالا المصورة في واجهة معبد ديون بسمنة غرب (الصورتين ١٢ & ١٥). لكن اختلف الخبراء حول قراءة عبارة تشييرة للملكة. العبارة تقرأ: " حمت نسو ورت نسو بيتي سات نسو" حيث يجوز أن تترجم بترجمتين مختلفتين؛ الأولى: " زوجة الملك الرئيسية ، ملك الوجهين القبلي والبحري ، ابنة الملك ". وفيها يكون اللقب ملك الوجهين القبلي والبحري راجعاً للملكة. هذه الترجمة تبناها الباحث كامينوس^{٢٠}. الترجمة الثانية الجائزة: " الزوجة الرئيسية لملك الوجهين القبلي والبحري ، ابنة الملك" وفيها يكون اللقب للملك زوجها، وهذه أخذ بها الباحث ريتشارد بيرس^{٢١}.

أما جميع الملكات النبتيات الأخريات فلم تحمل أي منهن لقب ملك ؛ ولا يتوفر دليل أو إشارة من التصاوير أو النقوش أن أيًا منهن قامت بالأعمال المعتادة التي يقوم بها الملوك مثل بناء المعابد أو تأديب الأعداء أو ما شابه ذلك. وعليه نخلص إلى أنه لم تصل أي من الملكات النبتيات إلى سدة الحكم. هذا الأمر تحقق في المرحلة التالية من تاريخ السودان القديم المعروفة بمملكة مروى حيث حكمت عدد من النساء منفردات^{٢٢}. وهذه المرحلة تقع خارج نطاق هذا البحث.

²⁰ . Caminos, R.A. " Queen Katimala's Inscribed Panel in the Temple of Semna " . in *Hommages à Jean Leclant*, vol. 2 (1994) p. 77-78.

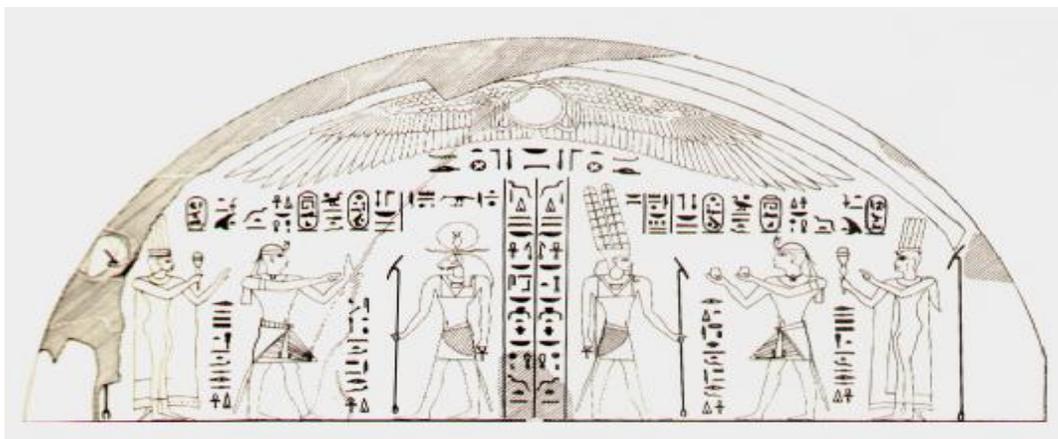
²¹ . Pierce, R. in ed. Eide et al . *FONTES HISTORIAE NUBIORUM*. Vol. 1. Begen. 1994. p.35
^{٢٢} . لكن بعد سقوط مملكة مروى حوالي سنة ٣٥٠ م. وحتى الآن لم يسجل التاريخ السوداني حالات تشبه أوضاع النساء في مملكة نبتا أو مملكة مروى.



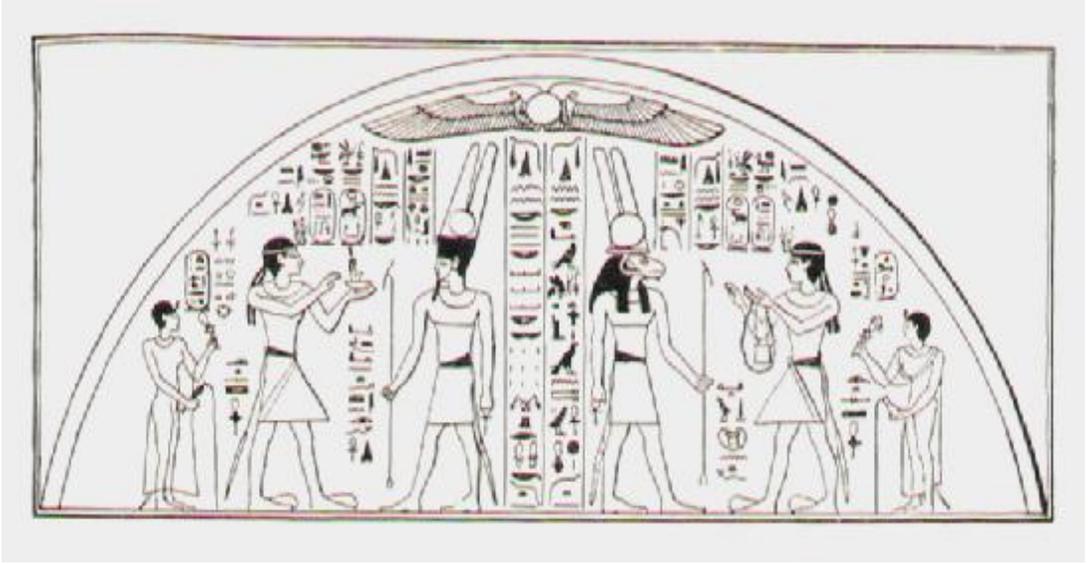
صورة ١. خريطة مملكة كوش (نبتا ومروي)



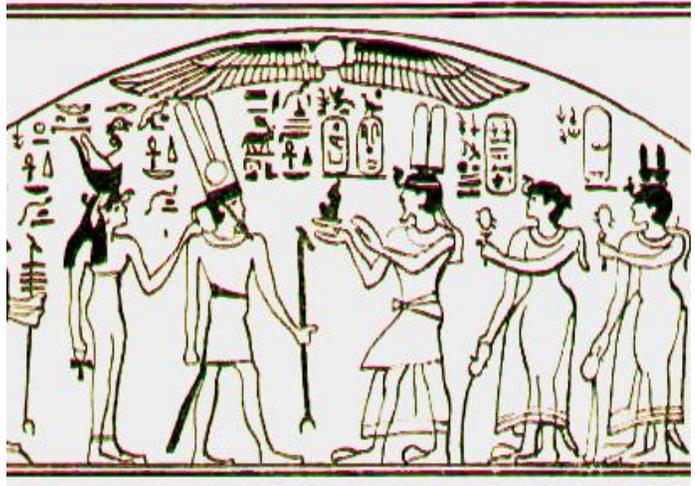
لوح الملك بي



صورة ٣: الجزء العلوي من اللوح كوة v ، يظهر عليه الملك تهارقا
وأمه الملكة أبار: 10Macadam, 1949.pls

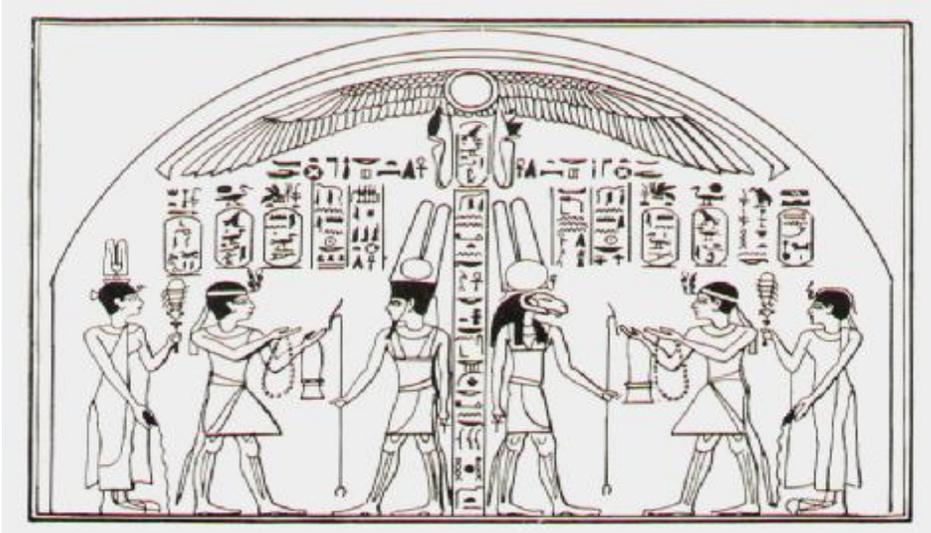


صورة ٤ : لوح الملك تنويت أماني : Budge, 1912, pl. iv
ناحية اليمين : الملك وأمه قلهاتا. ناحية اليسار : الملك وزوجته با عنخ آر تي

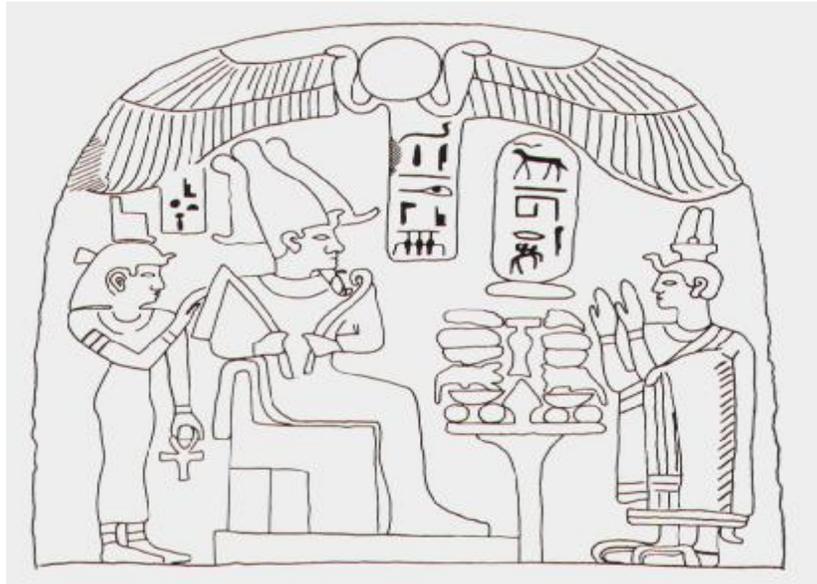


صورة ٥ : أحد ألواح الملك أسبيلتا : خلفه والدته ناسالسا ومن ورائها زوجته
Budge, 1912, pl.viii

لاحظ الذيل ، الشال ، لباس الرأس ، الشعر القصير



صورة ٦. لوح الملك حرسيوثف، على اليمين أمه، على اليسار زوجته
(،Budge,1912 pl.X,)

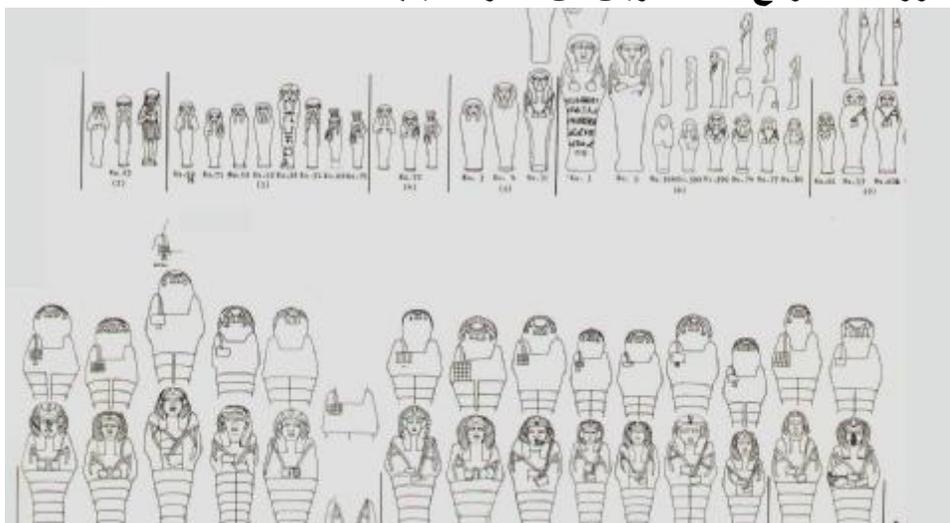


صورة ٧ : الجزء العلوي من لوح جنازي للملكة بتهلأيا من مقصورة هرمها نوري
.٤٤

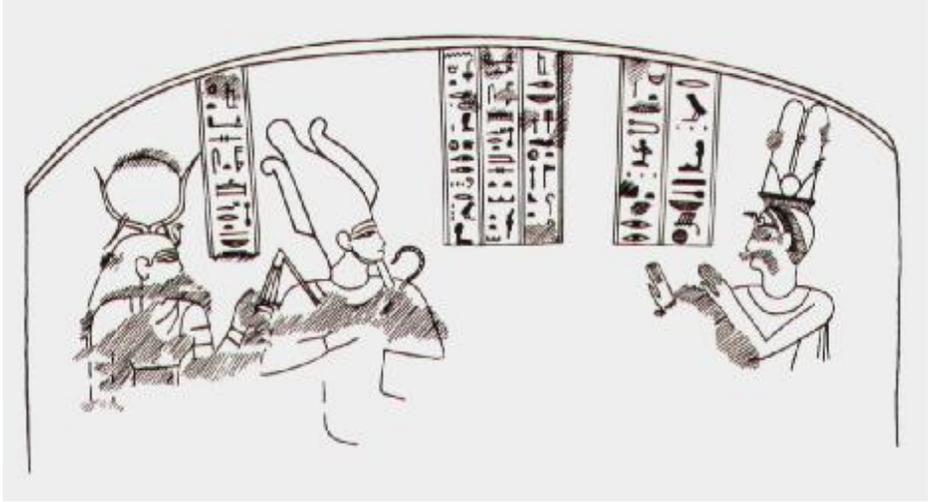
Dunham , 1955, fig 177



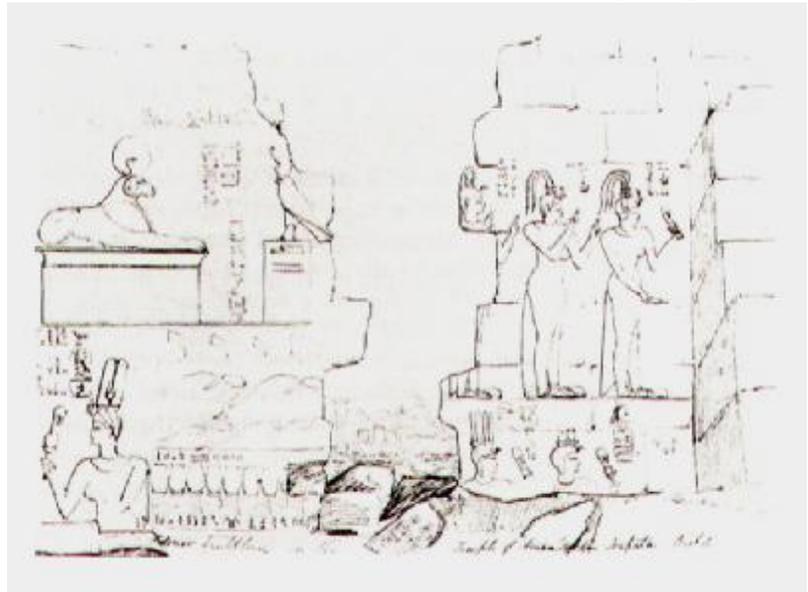
صورة ٨: نموذج لمائدة قربان من الفترة النابتية



صورة ٩: نماذج من تماثيل الشوابتي لممكات نبتيات (وجوه وظهر)

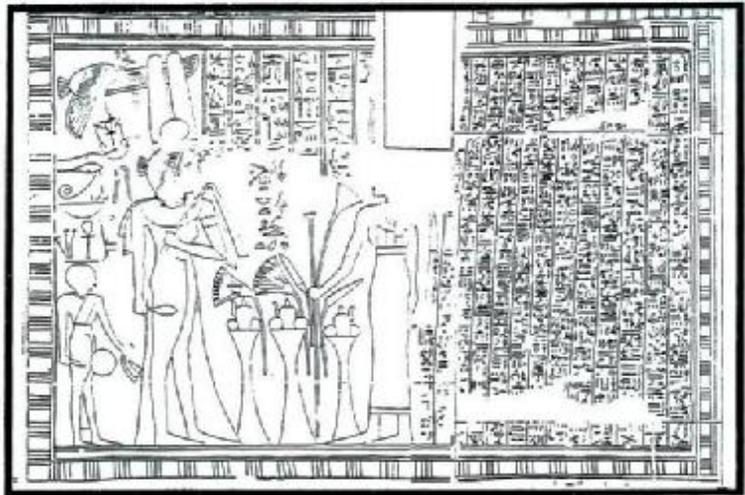


صورة ١٠: منظر على جدار قبر الملكة يتورو. نوري
(Dunham, 1955, fig.21.p.36) ٥٣



صورة ١١: منظر لنساء ملكيات ، بوابة المعبد ب ٧٠٠ ، جبل البركل
Griffith, F.Ll .JEA.15.(1929) fig.5

QUEEN KATIMALA'S INSCRIBED PANEL



صورة ١٢: الملكة كاديمالا: معبد الإله ديدون، سمنا غرب



صورة ١٣: تمثال الملكة أمانى ملول (أواخر القرن ٧ ق.م.)
متحف السودان القومي: رقم ١٨٤٣



صورة ١٤: لوح صغير من الفضة من قبر الملكة نفرو كاكاشتا

No.95. p.181 . The Catalogue .Africa in Antiquity.II .Wenig,S
Brooklyn. 1978



صورة ١٥ : ألقاب الملكة كاديمالا